﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيانُ علّة النّهي عنِ التّبذير

بعد أن نهى عنِ التّبذير في الآية السّابقةِ ذَكَرَ هنا مُعلِّلًا ذلك النّهي بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾؛ فَهُم ﴿إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾؛ أي: في هذا الخُلقِ، فالمناسبةُ هي إتباعُ النَّهي ببَيانِ آثارِهِ الدّينيّة الأخرويّة، وما يَجلبُ للإنسان مِن مَصائِبَ في آخرته.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَفُورٗا﴾: جذرُ الكلمة (كفر)؛ الكُفرُ: سترُ الشَّيءِ وتغطيتُه، ووصْفُ اللّيلِ بالكافِرِ لسترِه الأشخاصَ، والزَّرّاعَ لسترِه البذرَ في الأرض، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: 20]، وكُفرُ النِّعمةِ وكُفرانُها: سترُها بترك أداء شكرِها، وأعظمُ الكُفرِ: جحودُ الوحدانيّة أو الشّريعة أو النُّبوَّة، والكُفرانُ في جحود النِّعمة أكثرُ استعمالًا، والكُفرُ في الدّين أكثرُ، والكُفورُ فيهما جميعًا، قال: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾ [الفرقان: 50]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المُبذِّرون يُشابهون الشّياطينَ بكُفران النِّعم

الآيةُ تعليلٌ للنّهي عنِ التّبذير وتنفيرٌ منه بأبلغِ أسلوبٍ، والمُرادُ بأخوّةِ الشّياطين: المُماثَلةُ لهم في الصّفات السّيّئة، والسّلوكِ القبيحِ، أو التَّشبُّهِ بهم في هذا الفعلِ القبيحِ؛ والمعنى: كُنْ مُتوسِطًا في نفقتِك؛ لأنّ المُبذِّرين يُماثلون الشّياطينَ في صفاتِهم القبيحةِ،

(1) الراغب، المفردات: (كفر).

وكان الشّيطانُ في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ حالٍ جَحودًا لِنعَمِ ربِّه، لا يشكرُه عليها، بل يضعُها في غير ما خُلِقَت له هذه النّعم، وفي تشبيهِ المُبذِّرِ بالشّيطان في سلوكِه السَّيّئ، وفي عصيانِه لربِّه، إشعارٌ بأنّ صفةَ التّبذيرِ مِن أقبح الصّفاتِ الّتي يجبُ على العاقل أن يبتعدَ عنها، حتّى لا يكونَ مُماثِلًا للشّيطان الجاحِدِ لنعم ربِّه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

مَوقِعُ الجملة ممّا قبلَها ودلالتُها:

التّبذيرُ كُفرانٌ للنّعمة وإهدارٌ لطاقة المَال

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ تعليلٌ لِما قبلَها[2]، فبعدَ أن أمرَ بإيتاء ذي القُربى حقَّهُ من مالٍ وغيره، وإيتاءِ المسكين حقَّه، بمساعدته على قدر ما يستطيعُ مِنَ المال والطّعام والمَلبسِ والمَسكنِ، ثمّ ذَكَرَ ابنَ السّبيل الّذي انقطعَ عن أهله ومُعيّنيه من عشيرته ومعارفه، ونهى عنِ التّبذير في المال، وهو أن تضعَ المالَ في غير مكانِه، عَلَّلَ ذلك بأنّ التّبذيرَ من عمل الشّيطانِ لِما في المال من قوّةٍ وطاقةٍ يمكن أن تُستثمَرَ في الخير، فمَن وضعَها في غير الخيرِ فهو مُبذِّرٌ؛ لأنَّه سيضعُها في الشَّرِّ الّذي يدلُّه عليه الشّياطين.

غرضُ التّأكيد:

اشتراكُ المُبذِّرين بصفة الكُفران

أفادَت ﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ التّوكيدَ، وهو الأصلُ فيها، وأفادَت غرضًا آخر وهو التّعليلُ، فقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ علّلَ سببَ النّهي عنِ التّبذير، بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾، فأدّت ﴿إِنَّ﴾ مهمةَ التّعليل وبيانَ السَّبب.

كما أنَّ الجملةَ الاسميّةَ تفيدُ الثّباتَ والتّوكيدَ، فالتّبذير خصلةٌ مَذمومةٌ، فلا يُمدَحُ فاعلُها قطعًا في جميع الأحوالِ، كما أنّ الشّيطانَ لا يمكنُ أن يُذكَرَ أبدًا في مَوقِفٍ فيه مَدحٌ.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 333.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 376.

دلالةُ التّعريف في لفظ ﴿ٱلۡمُبَذِّرِينَ﴾:

التّبذيرُ المَذمومُ سجيّةٌ راسِخةٌ

التّعريفُ في لفظ ﴿ٱلۡمُبَذِّرِينَ﴾ تعريفُ الجنسِ؛ أي: الّذين عُرِفوا بهذه القضيّةِ صفةً راسِخةً فيهم، وهي كالتّعريف في قوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: 2][1]، فهُم في جميع أحوالِهم على نهج التّبذيرِ، والتّبذيرُ سجيّةٌ وخصلةٌ فيهم.

نكتةُ ذكر لفظ ﴿كَانُوٓاْ﴾:

أخـوّةُ الشّيطان منهجُ الخسران

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ ذُكِرَ لفظُ ﴿كَانُوٓاْ﴾ المُفيدُ أنّ تلكَ الأُخوَّةَ صفةٌ راسِخةٌ فيهم، وكفى بحقيقة الشّيطانِ كَراهَةً في النّفوس واستِقباحًا[2]؛ أي: كانوا على الدَّوام مُصاحِبين للشَّياطين.

بلاغةُ الاستعارة التّصريحيّة:

أخـوّةُ الشّيطان مُلازِمةٌ للباطل

الإخوانُ جَمعُ أخٍ، وهو هُنا مُستَعارٌ للمُلازِمِ غيرِ المُفارِقِ؛ لأنّ ذلك شأنُ الأخِ، كقولِهم: أخو العلم؛ أي: مُلازِمُهُ والمُتَّصِفُ به، وأخو السّفَرِ لِمَن يُكثِرُ الأسفارَ[3]، فهي بمعنى المُلازِمِ للشّيطان كالأخ له؛ فحُذِفَ المُشبّهُ وصُرِّحَ بالمُشبَّه به، فهي استعارةٌ تصريحيّةٌ، وهي أصليّةٌ؛ لأنّها حصلَت في الاسم.

بلاغةُ التّعليلِ للمُبالغة:

التّـبـذيـرُ هـدرٌ لـطـاقـات الأمّـةِ الماليَّةِ

قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ تعليلٌ للمُبالغة في النّهي عنِ التّبذير، ودلالةُ ذلك تحريمُ التّبذير، وجعلُهُ من أكثر الأفعالِ مَقتًا عند الله تعالى؛ لِما فيه من هدر طاقاتِ الأفرادِ، ومجموعُها يؤدّي إلى هدر الطّاقاتِ الماليّةِ للأمّة، وهذا ينعكسُ سلبًا على كُلِّ طاقاتِ ومَكامنِ القوّةِ فيها، لذلك نجدُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 78.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 80.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 80.

هذا الوصفَ الفريدَ النّادرَ في القرآن الكريم، وهو التّحذيرُ مِنَ الطّبائع الشّيطانيّة.

دلالةُ عطف الجمل وغرضُه:

وصـفُ بشاعة أفعال الشّيطانِ لتجنُّبها

عُطِفَت جملةُ ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ على جملة ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾؛ فالجملتان خبريّتان، مُختلفتان في المعنى، فلمّا كان الاقتصادُ أدعى إلى الشُّكر، والتّبذيرُ أقودَ إلى الكُفر، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ أي: هذا الجنسُ البعيدُ من كلِّ خيرٍ ﴿لِرَبِّهِۦ﴾؛ أي: الّذي أحسنَ إليه بإيجادِه وتربيته ﴿كَفُورٗا﴾؛ أي: سَتورًا لِما يَقدِرُ على سَترِه من آياته الظّاهرة، ونِعمِه الباهرة، مع الحُجَّة[1]، فاستحقّ هذا الوصفَ كونَهُ المخلوقَ المُتناهيَ في الكُفر، فَحَذَّرَتِ الآيةُ من بشاعة الشّيطانِ وبشاعة مُلازمتِه والاتّصافِ بصفاته.

تحذيرُ المُبذِّرين مِنَ الكُفر بربِّ العالَمين

وغرضُ جملة ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ التّحذيرُ الشّديدُ من أن يُفضيَ التّبذيرُ بصاحبِه إلى الكُفر تَدريجًا بسبب التّخلُّقِ بالطَّبائع الشَّيطانيّة، ويجوزُ حَملُ الكُفرِ هنا على كُفرِ النِّعمةِ فيكونُ أقربَ دَرجاتٍ إلى حال التَّخلُّقِ بالتّبذير؛ لأنّ التّبذيرَ كفرٌ لنعمة اللّهِ بالمال، فالتَّخلُّقُ به يُفضي إلى التَّخلُّق والاعتياد لكُفران النِّعم، فإذا كانَ المُبذِّرُ مُؤاخيًا للشّيطان، وكان الشّيطانُ كَفورًا، فإنَّ المُبذِّرَ كَفورٌ بالمآل أو بالدّرجة القَريبة[2]، وفيها من وصف التّبذيرِ بما يؤدّي بالإنسان إلى كُفران النِّعمة، وما يؤدّي بعدَها إلى أكثر من ذلك.

نكتةُ استعمال لفظ الرّبوبيَّة مُضافًا إلى الضّمير:

الشّيطانُ أسوأُ مـثـالٍ يُـضـرَبُ للإسراف

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ لفظ الرّبوبيّةِ مُضافًا إلى الضّمير العائدِ على الشَّيطان، فقال: ﴿لِرَبِّهِۦ﴾؛ أي: لربِّ الشّيطان، وهو اللّهُ ﷻ، وذلك لبيان سوء حالِ الشّيطانِ؛ إذ كان كفورًا بالرّبِّ الّذي خلقَه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 376.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 81.

وربّاهُ وتكفَّلَ له بالرّزق، ثمّ هو يكفرُ به أشدَّ الكفرِ، ويسعى للكُفر به، وتحريضِ خلقِه مِنَ النّاس على الكُفرِ به، وفيه تعريضٌ بالمُبذِّرين الّذين يَكفرون نعمَ اللّه تعالى عليهم، بأنَّهم على نهج الشّيطانِ.

نكتةُ تقديمِ المجرورِ على خبر كان:

الشَّيطانُ أكثرُ المَخلوقات جُرأةً على الكُفر

أفادَ تقديمُ المجرور ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ على خبر كان ﴿كَفُورًا﴾ مُسارعةَ الشّيطانِ في الكُفر دون الاعتبارِ لعظيم شأنِ اللّهِ وفضلِه، لكنّ تكبُّرَ الشّيطان جَعَلَه أكثرَ المَخلوقات جرأةً على الكفر، وصار هو محورَهُ الدّاعيَ إليه.

دلالةُ التّعبير بصيغةِ المُبالغة:

الشّيطانُ مِثالُ الكفرِ، مُبتكِرٌ لفنونه وأساليبه

قولهُ ﴿كَفُورًا﴾ صيغةُ مبالغة؛ وهي اسمٌ مُشتَقٌّ مِنَ الفعل للدّلالة على معنى اسم الفاعل، وتدلُّ على تقويةِ المعنى وتوكيدِه، والمبالغةِ فيه، ووجهُ المُبالَغةِ في قوله: ﴿كَفُورًا﴾ أنّه ذَكَرَ الكُفرَ؛ ليدلَّ على أنّه صفةٌ مُتأصِّلةٌ فيه، وهو يَبتكرُ أساليبَه، ويوسوسُ للنّاس أفعالَ الكفر وأقوالَه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»